لذا طلب المعاينة الكليم، ولذة عظيمة وفرحا بحال المعاينة وتمام الادراك فالعميان الخلق والمقعدون العوام المقلدون والمشاة العلماء والواصفون احوال المدينة الانبياء والرسل وردة الابصار والجوارح، انقطاع العلايق وفارق النفس للجسد قال الله تعالى لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وقال صلى الله عليه وسلم الناس نيام فاذا ماتوا استيقضوا فالمعرفة الحاصلة في الدنيا تقوم مقام المبصرات قبل وقوع الشهود، والثانية وهي حال الاخرة تقوم مقام المشاهدة بالابصار لما كان يتخيل وبحسب معرفة الله والعلم بصفاته واسمائه في الدنيا تكون المشاهدة والنظر في الاخرة فقوم ينظرون الى متخيلاتهم في الدنيا بحسب تفاوتهم فيها وهم الضالون وقوم ينظرون الى الله لا يضارون في رؤيته كما ورد في الحديث وهم المقربون فلا يفوز بالرؤية في الآخرة الا العارفون بالله في الدنيا اذ المعرفة بزر ينقلب مشاهدة كانقلاب الحبة سنبلة ولا زرع لمن لا بذر له ولا رؤية لمن لا معرفة له ولا كمال نعيم وسعادة لمن لا نظر له ثم لما كانت المعرفة تتفاوت درجاتها كانت الرؤية التي تثمرها متفاوتة في درجات التجلي ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان الله يتجلى للناس عامة ولابي بكر خاصة ولا نسبة بين ادراك اهل المعرفة الى ما يدركونه من جلال الله ولا يدخل تحت عد ولا مناسبة قال الله تعالى وما قدروا الله حق قدره، وانما النسبة من حيث حظوظهم ونفوسهم قال صلى الله عليه وسلم لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك فلما تحقق المستبصرون من اهل العناية والمعرفة وارباب الفطنة السليمة ومقلدي الهداة ان كمال نفوسهم هو عين سعادتها وان عدم الكمال هو عين شقوتها وان سعادتها معناها الحياة الدايمة ومشاهدة نور حضرة الحق وانها لا يتمكن لها ذلك الكمال بعد مفارقة الجسد وانما يتاتى لها ما دامت مدبرة له وان الكمال المشار اليه لا يحصل الا بطريقي العلم النافع والعمل النافع المفضيين بها الى محبة المعلوم والمعمول له والشوق الى الانوار الالهية وان هذه السعادة تحصل على ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وانها ليست من جنس ما يدرك بالحواس الظاهرة اذ مدركاتها منقطعة فانية بفناء مدركاتها وانما يلتذ بهذه السعادة وتدركها النفوس الفاضلة الكاملة بما اودع الله فيها من الادراكات الكاملة التي خلق لها الاصلية للاتصال بحضرته ولا يمكنها ذلك ما دامت عاشقة للذوات السافلة مقبلة عليها اذ عشق الاجسام الفانية صارف عن اللذات الروحانية الفايقة الباقية فهذبوا انفسهم بالرياضة والسلوك فوصلوا الى حضرة ملك الملوك، قال الشاعر

التخيل صح

في المعرفة تنقلب مشاهدة

ولما وصلنا

ولما وصلنا ربع من لم يدع لنا ... فوادا لعرفان الربوع ولا قلبا
نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة ... لمن بان عنا ان نلم به ركبا

وتقررات النفوس اذا صفت من الكدرات ولطفت اذ الكدرات انما اكتسبتها بقربها من عالم الاجسام وبعدها من المبدا بعدا نسبيا لا زمانيا كما يحدث في دنان الراح من لطافة اعاليها وتفاضلها بعد في الصفائية والكدرة الى العكر والنفائية وعند صفائها تتشبه بالملا الاعلى وتنتقش امثلة الكائنات المتعشقة فيه بنوع ما وتشاهد المحجوبات وتوثر في العوالم السفلية وعند ذلك يصح لها الكمال الانساني وهو التشبه بالعالم الاقدس وفي هذا الطور يعاين العارف كلي الجمال ومعدن جزئيه فيهيم به ويستعد لقبول نور الحق الفياض من لدنه فيتوصل منه الى الجمال المطلق فيتلاشى شهوده حتى ينعدم وجوده لذاته فيه فيصير من الارواح المقربة والعوالم المهيمة ولا يزال يصفو ويتمحض فيستعد فيقبل وكلما اشرق النور على ذاتها زادت صفاء حتى تصير نورا قدسيا فعند ذلك ترتفع لها الحجب الجلالية فتعاين ما لا يحيط به الاوهام ولا تنتهي اليه المدارك ولا يطمع في فهم حقيقته طامع،

خضت الدجنة حتى لاح لي قبس ... فبان بان الحمى من ذلك القبس
فقلت للعين غضي عن محاسنهم ... وقلت للنطق هذا موضع الخرس

ويذهلها عن النظر الى ذاتها اذ النظر اليها حجاب عن كمال الشهود فتفنى عن نفسها ثم ترى علمها بالفناء شائبا في صفو الشهود فتفنى عن رؤية فنائها فتصل بذلك الى بقائها السرمدي فاذا جازت هذا المقام وهو فناء الفنا وعدم منها الخلق بالكلية وتجلى لها الحق فتشهده موصوفا بالصفة التي تليق به فحينئذ يصح الوصول وتكمل السعادة القصوى قالوا واذا شهد العارفون الحق على ما هو عليه بعدم ذواتهم من غير حجاب تجلت لهم جميع الصور الموجودات، ما رايت شيئا الا رايت الله فيه قال الشيخ نقشبند عاش فيكاد يرى الله في كل شيء فراوا العالم كله بالله لكنهم راوه عدما محضا لا وجود له من ذاته انما هو عارية من الله وكل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون،

فهمت سر الهوى لما هويت قدمي ... لكنه بالنهي في السر خلصني
وخضت في الحب اهوالا فنيت بها ... عن الوجود فادناني وقربني

وربما كانت هذه الحال لوامع تضيء وقتا وتغيب وقتا وبوارق تومض حينا وتخمد حينا ثم تصير ملكة مستقرة للعارف ومنهم من يرد عن هذا المقام رحمة للخلق وشفقة للهداية منزلا الى عالم الكون بالله متصرفا فيه بامر الله مختصا بولاية الله تشهد بذلك الخوارق والكرامات مع الحفظ من المخالفات وتوفر النصيب من حظوظ النبوة وهو المخصوص الى هذا الحد بالقطبية والغوثية والترف على اولى رتب الملئكة اذ حاصلها الخلود في

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)